الجزء الثاني

أعمال

المؤتمر الدولي الثاني لتعليم اللغة العربية وآدابها

2025 ICTALL

PROCEEDINGS

THE 2ND INTERNATIONAL CONFERENCE ON TEACHING ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

آفاق تعليم اللغة العربية وآدابها في جنوب شرق آسيا
تجارب محلية ونماذج ملهمة

رئيس التحرير

عبد الغفار سامي

المحررون

فـــــواز بـــــن إيبـــــاو

توفيق عبد الرحمن قاسم القاسمي

محمد ترميذي بن يوسف

أشـــواق إسماعيل باتوبارا

جامعة السلطان أزلن شاه

USAS Press

أعمال المؤتمر الدولي الثاني
لتعليم اللغة العربية وآدابها

آفاق تعليم اللغة العربية وآدابها في جنوب شرق آسيا

تجارب محلية ونماذج ملهمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أعمال المؤتمر الدولي الثاني
لتعليم اللغة العربية وآدابها

آفاق تعليم اللغة العربية وآدابها في جنوب شرق آسيا
تجارب محلية ونماذج ملهمة

الجزء الثاني

رئيس التحرير

عبد الغفار سامي

المحررون

فواز بن إيباو توفيق عبدالرحمن قاسم القاسمي

محمد ترميذي بن يوسف أشواق إسماعيل باتوبارا

منشورات جامعة السلطان أزلن شاه

Penerbit USAS Press

أعمال المؤتمر الدولي الثاني لتعليم اللغة العربية وآدابها

آفاق تعليم اللغة العربية وآدابها في جنوب شرق آسيا: تجارب محلية ونماذج ملهمة

الجزء الثاني

©جميع الحقوق محفوظة لـ USAS Press

usaspress@usas.edu.my

الطبعة الأولى 2025

يُحظر تصوير هذا الكتاب أو طباعته أو ترجمته أو إعادة إنتاجه أو تسجيله أو تخزينه أو بثّه بأي وسيلة ورقية أو إلكترونية أو ضوئية دون إذن خطي من الجهة الناشرة ويُسمح بالاقتباس لأغراض البحث العلمي والتعليم مع الإحالة إلى المصدر

جميع الأفكار والآراء والنتائج الواردة في الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير أو اللجنة العلمية أو الجهة المنظمة والناشرة أو الجهات الداعمة

هيئة التحرير

عبد الغفار سامي (رئيسا)

فواز بن إيباو

توفيق عبدالرحمن قاسم القاسمي

محمد ترميذي بن يوسف

أشواق إسماعيل باتوبارا

رقم التسلسل الدولي

ISBN 978-629-95233-6-9

***Penerbit USAS Press* – منشورات جامعة السلطان أزلن شاه**

Universiti Sultan Azlan Shah (USAS)
Bukit Chandan, Bandar Diraja Kuala Kangsar 33000
Perak Darul Ridzuan
Malaysia

تصميم الغلاف: نور أديلا بنت أزلن

المحتويات

تقديم ٩

مقدمة ١١

المحور الرابع

النماذج الملهمة في إعداد المعلم والمناهج وطرائق التدريس

النماذج المُلهِمة في إعداد معلّم اللغة العربية تأملات في الممارسات الجيّدة في جنوب شرق آسيا

نور الحكمة ١٥

دور الصوتيات التطبيقية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

محمد ونوس – عمر بن محمد دين..... ٢٣

أبجدية الجذور العربية في بعدها البنيوي والتربوي دراسة في علاقة الحروف الثلاثية بتوليد المعنى وتعليم المفردات

عاصم الشريف الفطاني..... ٤١

أوجه التداخل الإيجابي في استخدام المصدر في الكتابة باللغة العربية لدى الطلبة المتخصصين في اللغة العربية

فطين نبيلة بنت محمد عبد المرئيس – نئ حنان بنت مصطفى ٥١

قدسية اللغة العربية في الإسلام وآفاقها العلمية والتعليمية

حكيم إبراهيم عبدالجبار الشميري..... ٦٥

الدوافع والعوامل المساعدة في تعلم اللغة العربية من خلال تعلم القرآن الكريم بطريقة التلقي لدى كبار السن في فطاني

عبد الله الأسامة – حذيفة حالم

فيصل تمفو – وان سليمان جيء أونونج ٧٩

تطوير لعبة اللوحة التعليميّة وتقييمها لتعزيز تعلّم المفردات العربيّة: مبنيّة على أحاديث الأربعين النوويّة

محمد أنور بن أحمد – محمد نور فرحان بن زمزيبا

عصام الدين بن أحمد – كو محمد شربيني كو يعقوب ٨٣

ترجمة الثقافة الاجتماعية بين العربية والملايوية

رابعة العدوية بنت مد علي سيف الدين ٩٣

المصطلحات العربية المستخدمة في جنوب تايلاند: دراسة لغوية دينية

حذيفة إسماعيل هالنج – عبد الله الأسامة– عبد الهادي سابودينج ١٠٣

مصطلحات الإصلاح الإسلامي في الكتابات الفكرية العربية المعاصرة: تحديات ورؤى من واقع تجربة مترجم

محمد عرفان فير محمد..... ١١١

ترجمة البروصودي في أغاني الأطفال المدبلجة من مسلسل عمر وهنا: دراسة تحليلية

سيتي شافيناز بنت محمد فوزي – أكمل خزيري بن عبد الرحمن..... ١٢١

دراسة التناص في نشيد "أبكي على الشام" لمشاري راشد العفاسي وأغنية وطنية "Gugur Bunga" لإسماعيل مرزوقي

حسن الخاتمة ١٣٣

فنون بلاغية في رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني

معهد مختار – نور العقيلة السماني بنت شكيب أر–سلان..... ١٤٣

القيم الإسلامية وتجلياتها الأسلوبية في شعر الزهد لأبي العتاهية: دراسة تحليلية

نور عريسة عطيرة بنت زين الدين – نورسفيرة لوبيس سفيان – رحمة أحمد الحاج عثمان ١٥٩

تجليات القيم الاسلامية في قصيدة البردة لأحمد شوقي: دراسة تحليلية

عبد الحليم بن صالح – صوفيا هاني ناتاشا بنت محمد ازهار..... ١٧٥

الوسطية: معانيها وخصائصها في ضوء آراء أهل اللغة العربية ومدى توافقها مع التصور الشرعي

عثمان يونو – إبراهيم نرونج رأساكيت..... ١٩١

المحور الخامس

توظيف التقنية والوسائط الحديثة في تعليم اللغة العربية وآدابها

أثر الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها باستخدام المفردات المشتركة بين اللغة العربية والماليزية: تجربة المدارس السعودية في كوالالمبور

تركي خليفة الحربي – محمود ثابت..... ٢٠١

التكامل بين القراءة النقدية والذكاء الاصطناعي في الترجمة الابتكارية للآيات الكونية ودوره في تنمية التفكير النقدي لدى طلبة الدكتوراه في قسم التربية الإسلامية

أرمان حسني – ويرا وهيوني – زكروهيوني مايزا ٢١١

استفادة طلبة كلية العلوم الإسلامية ببرنامج ChatGPT في دراسة اللغة العربية: الواقع، التحديات، المقترحات

علي ساموه..... ٢٢٣

تطوير تطبيق TANWEER لتعليم المفردات العربية المدمج مع Qur'an Arabic Corpus باستخدام منصة Kodular

حارس فرقان حسبي فيرمانسياه ٢٣٩

تحليل الاحتياجات لتطوير تطبيق الهاتف الذكي لتعلّم مهارة الكلام باللغة العربية: دراسة استطلاعية

أليف فهمي بن عبد الله – توفيق بن إسماعيل – محمد صبري بن شهرير ٢٤٩

استخدام البودكاست العربي من أجل تحسين مهارة الاستماع لدى الطلبة في المرحلة الجامعية

حسلينا بنت حسن – بوتري نور حسنى بنت مجد ذو الكفل ٢٥٧

صناعة المحتوى العربي على وسائل التواصل الاجتماعي في جنوب شرق آسيا: الواقع والتطلعات

رشدي طاهر – عبدالحفيظ مخلص – براسيرت بان بري (عبدالقادر)..... ٢٦٩

الترجمة الآلية للنصوص الإسلامية العربية: دراسة حول الدقة والأثر التربوي في الجامعات التايلاندية الجنوبية

كيت عزمي (هداية الله) – ياسر واتيه – عبد الولي محمد كابا – رشدي طاهر..... ٢٨٩

ملحق: قائمة بعناوين أوراق المؤتمر المنشورة في المجلات العلمية المحكمة.....٢٩٧

القيم الإسلامية وتجلياتها الأسلوبية في شعر الزهد لأبي العتاهية
دراسة تحليلية

نور عريسة عطيرة بنت زين الدين* – نورسفيرة لوبيس سفيان* – رحمة أحمد الحاج عثمان*

ملخص

يُعد أبو العتاهية من أبرز شعراء هذا العصر وأكثرهم إنتاجًا، عُرف بتحوله من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقوى حتى أصبح رائدًا لهذا اللون من الشعر، ومثّل صوته صدىً صادقًا للروح الإسلامية في مواجهة تيارات الترف والمجون التي سادت المجتمع العباسي. تنطلق الدراسة من إبراز السياق الفكري والأدبي الذي شكّل بيئة الشاعر، حيث اتسم العصر العباسي بالترف واللهو من جهة، وبالميل إلى الزهد والتقوى من جهة أخرى، مما أفرز اتجاهًا أدبيًا واضحًا تمثل في شعر الزهد. ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن القيم الإسلامية وتجلياتها الأسلوبية في شعر الزهد عند أبي العتاهية في العصر العباسي. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال دراسة نصوص مختارة من ديوان أبي العتاهية للكشف عن البنية اللغوية والبلاغية التي حملت معاني التوبة، والاعتراف بالذنب، والتذكير بالموت والآخرة. وقد ركز التحليل على أبرز السمات الأسلوبية مثل التكرار، والقصر، والمقابلة، والصور البيانية، إضافة إلى البساطة والوضوح في التعبير التي ميّزت شعره وجعلته قريبًا من عامة الناس. وقد خلص البحث إلى أن شعر أبي العتاهية في الزهد يمثّل نموذجًا أدبيًا يجمع بين عمق المعنى وبساطة الأسلوب، ويُعد وسيلة فنية فعّالة لترسيخ القيم الإسلامية مثل التوحيد، وحسن الظن بالله، والرجاء في رحمته، مما يبرز مكانة الشاعر رائدًا للأدب الزهدي في العصر العباسي.

الكلمات المفتاحية: أبو العتاهية؛ شعر الزهد؛ القيم الإسلامية؛ الأسلوبية؛ العصر العباسي

مقدمة

يُعد العصر العباسي من أهم العصور في تاريخ الحضارة الإسلامية، حيث شهد تحولات كبيرة على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وقد بدأ هذا العصر بتولي أبي العباس السفاح الخلافة في عام ١٣٢هـ وانتهى بسقوط بغداد على يد المغول في عام ٦٥٦ هـ. وعلى مدار خمسة قرون، تميز هذا العصر بازدهار فكري وثقافي كبير خاصة في مجال الأدب العربي. وأيضا، إن الشعر في هذا العصر احتفظ بمكانته الرفيعة لما تميز به من خصائص فنية ومضمونية تعكس ظروف المرحلة التاريخية (طه، ٢٠١٧).

* الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

يرى علي أحمد سعيد أدونيس (١٩٧٩) أن الشعر العربي له خصوصية عميقة في علاقته بالمجتمع البدوي العربي الذي نشأ فيه حيث كان الشعر بمثابة الخبز اليومي في حياة العرب. ويؤيد السامرائي (٢٠١٣) هذا الرأي، مشيرًا إلى أن الشعر لعب دورًا مهمًا في تصوير مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. كما أن الخلفاء العباسيين والنخب السياسية في الدولة أولوا اهتمامًا كبيرًا بالشعراء وأغدقوا عليهم الجوائز والهبات مما ساعد على ازدهار الشعر وتطوره. وقد ساهم التعدد الثقافي واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب من خلال حركة الترجمة ونقل المعارف إلى تعزيز هذا الازدهار الأدبي.

وفي الإطار الفكري، يُبرز المفكر الإسلامي المعروف أنور الجندي أهمية أسلمة المعرفة خطوة جوهرية لمعالجة الازدواجية الفكرية والتعليمية التي أثّرت سلبًا على الأمة الإسلامية نتيجة لتغلغل النموذج المعرفي الغربي في نظم التعليم. ويرى الجندي أن المعرفة لا ينبغي أن تكون منفصلة عن القيم الإسلامية، بل يجب أن تقوم على أساس من الوحي والعقل، وأن تُوجَّه نحو تحقيق المقاصد الشرعية. وفي هذا السياق، تصبح الأعمال الأدبية، ومنها الشعر، أداةً فعّالة لنقل القيم والمبادئ الإسلامية، وتؤدي دورًا توعويًا وتربويًا في بناء الإنسان المسلم المتوازن بين الروح والمادة، والدنيا والآخرة (الجندي، ١٩٨٦).

ومن أبرز الأمثلة على هذا التوجّه ما عرضته فوزية ميموني (٢٠١٨) في دراستها حول شعر الزهد عند أبي العتاهية، أحد أعلام الشعر في العصر العباسي. وقد عُرف بتحول مسار حياته من اللهو والانغماس في الملذات إلى الزهد والتقشف. ففي عهد الخليفة هارون الرشيد غيّر أبو العتاهية نمط حياته وبدأ في كتابة قصائد تدعو إلى التوبة والتقوى وتحذر من الغفلة وتدعو إلى تذكر الموت والزهد في الدنيا. هذا التحول لم يضف فقط قيمة روحية على حياته، بل منح شعره عمقًا فلسفيًا ومعنويًا جديدًا.

ورغم اشتهاره بشعر الزهد، تكشف هذه الدراسة أنّ قصائد أبي العتاهية لم تقتصر على موضوع الزهد فحسب، بل تضمنت أيضًا قيمًا دينية أخرى منها قيمة الاعتدال مثل التسامح ورفض العنف وقبول الآخر وتحقيق التوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة (منقور، ٢٠٠٤). لذلك، يهدف هذا البحث إلى دراسة القيم الإسلامية في شعر الزهد لأبي العتاهية من خلال تحليل جمالي وأسلوبي يكشف كيف تمكن الشاعر من توظيف اللغة والصورة الشعرية لتجسيد منظومة القيم الإسلامية وإيصال رسالة دينية وأخلاقية بليغة تتماشى مع روح الإسلام الداعية إلى الرحمة والوسطية.

المنهجية

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي من خلال دراسة المفهوم عن القيم الإسلامية في شعر الزهد لأبي العتاهية في العصر العباسي الذي برز شعر الزهد كاتجاه حافظ على الصلة القوية بالروح الإسلامية والمبادئ القرآنية. يجلّي هذا البحث القيمة الإسلامية حيث تحدث عن الأدب الذي يستمد وجوده من التوحيد والنبوة والثقة بالله والنظر إلى الكون بالسماحة والتفاؤل والإيمان (الجندي، ١٩٨٥). فالمنهج الوصفي يقوم على الدراسة المكتبية التي تعتمد على جمع البيانات من المصادر المكتوبة. وقد اعتمدت الباحثات على شعر الزهد لأبي العتاهية في ديوانه، ثم وثّقن هذه البيانات بالرجوع إلى مصادر علمية موثوقة (Mann, ٢٠١٥).

ثم، يعد منهج التحليل الأسلوبي إحدى أكثر الطرق دقة وقيمة في تحليل النصوص الأدبية. فمن خلال دراسة العناصر اللغوية المتنوعة النحوية والبلاغية والمعجمية والصوتية. يكشف التحليل الأسلوبي عن المعاني الكامنة في الأعمال الأدبية (ساجد وفهيمة، ٢٠٢٥). وتبيّن أن الأسلوبية منهج نقدي حديث يهدف إلى مقاربة النصوص الأدبية على المستويات اللغوية والأدبية للكشف عن ظواهرها الجمالية وتحديد خصائصها الأسلوبية التي تميزها عن غيرها. وباختصار، تُعَرَّف الأسلوبية بأنّها العلم الذي يدرس نظام اللغة ضمن نظام الخطاب (الحربي، ٢٠٠٣).

مفهوم الأسلوبية

ذكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه المعنون "مفتاح العلوم" (١٩٨٧) أن الأسلوب إخراج الكلام وفقًا لمقتضى الظاهر وهو ما يعرف بالتصريح في علم البيان (الجرجاني، ١٩٩٤). يشير الزرقاني (١٩٩٩) في كتابه "مناهل العرفان" إلى مفهوم الأسلوب عند البلاغيين، حيث يعرّفه بأنّه اختيار الألفاظ وتنظيمها للتعبير عن المعاني بطريقة تسهم في الإيضاح والتأثير. ويضيف أنّ الأسلوب هو ترتيب العبارات اللفظية التي تنقل المعاني بصورة منظمة، مشيرًا في الوقت نفسه إلى أنّ أسلوب القرآن يتمثل في الطريقة المميّزة التي انفرد بها في تركيب كلامه وانتقاء مفرداته. وفي كتاب "البلاغة الواضحة" لعلي جارم وأمين (١٩٣٧) يُعرّف الأسلوب بأنه المعنى الذي يُعبّر عنه من خلال ألفاظ مرتبة بطريقة تحقق أقرب طريقة للوصول إلى الهدف المقصود من الكلام مما يؤثر في نفوس السامعين.

ويرى رئيسي وامرائي (٢٠٢٢) أنّ الأسلوبية تهتم بتحليل طرائق استخدام اللغة بشكل مميّز يقوم على انتقاء الألفاظ والتراكيب، وغالبًا ما تعتمد المقارنة أداةً لتحديد الفروق بين الأساليب المختلفة. كما تقوم أيّ نظرية أسلوبية على فكرة أساسية مفادها أنّ المعنى الواحد يمكن التعبير عنه بطرائق لغوية متعدّدة، وهو ما يتيح إمكان الوصول إلى أفضل فهم للنصوص الأدبية. وقد برزت الأسلوبية مع نشأة علم اللغة الحديث. وبالإضافة إلى ذلك، ظهرت الأسلوبية في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات الحديثة منها ما قدمته مدرسة عالم اللغة السويسري فردينان دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م) إذ إنها خلق إنساني ونتاج للروح البشرية وهي تتميز بدورها أداةً للتواصل بين الناس ونظام من الرموز المخصصة لنقل ثمرة الفكر فهي مادة صوتية لكنها ذات أصل نفسي واجتماعي (صلاح فضل، ١٩٨٥).

فنجد السمات الأسلوبية للنص من خلال مستويين:

- مستوى علمي: تُعنى نظرية النظم في هذا السياق بتحديد المعاني وفهم طرائق التعبير عنها دون التركيز على الشكل الفني أو الجمالي للعبارة (السامرائي، ١٩٧٧).
- مستوى أدبي: تهتم نظرية النظم في جانبها الفني والأدبي بمهارة الناظم وقدرته على التمييز الدقيق بين أساليب التعبير وفروق الكلام، مع إلمام بوجوه التصريف وقواعد النحو. فيقوم باختيار طرق عرض الخبر المشهورة وصياغة الجمل الشرطية والحالية في المواضع المناسبة ويُحسن توظيف الأساليب البلاغية في بناء الجمل داخل النص الإبداعي، مثل استخدام الفصل والوصل، والتعريف والتنكير وغيرها من أدوات البلاغة (الجرجاني، ١٩٩٢).

تناولت الباحثات هذا الموضوع بهدف إبراز السمات المميّزة في هذه المقطوعة، لما تحمله من قيمة علمية وأسلوبية كبيرة، إذ تتضمن عناصر بلاغية ولغوية تثري الباحثين، إلى جانب ما تحويه من مضامين أخلاقية تسهم في بناء شخصية المتعلّمين. كما أتاحت هذه الدراسة التعرف على شاعر يمتلك أسلوبًا فريدًا، ويُعَدّ ما قدّمه إضافة مهمّة للأدب العربي يمكن توظيفها في إثراء الحياة الأدبية.

وقد قسمت الدراسة المظاهر الأسلوبية في شعره بحسب شيوعها إلى عدة مستويات: المستوى الصوتي مثل التكرار والجناس والمقابلة، والمستوى التركيبي مثل التضاد والتقديم والتأخير، والقصر والخبر والإنشاء وكذلك المستوى الدلالي الذي تناول الصور التشبيهية والكنائية والاستعارية. وقد تناولت الدراسة هذه المظاهر بوصفها أدوات فنية وظّفها الشاعر في قصيدته، ثم قامت بتحليلها للكشف عن أسلوبه المميّز من خلالها.

مفهوم الزهد

وقد ذكر ابن منظور (١٨٧٦) في لسان العرب، الزهد هو ترك الرغبة والتعلق بالدنيا ونقيض الحرص عليها ولا يُستخدم لفظ "الزهد" إلا في الأمور الدينية تحديدًا. أما الزهادة في عموم الأشياء، فهي تعني عدم الرغبة فيها. ويُقال "زَهِد" و"زَهَدَ" ويُقال أيضًا "يَزْهَد" منهما زهدًا وزَهَدًا، بفتح الهاء حسب ما ورد عن سيبويه. كما يُقال "زُهَّاد" جمع "زاهد"، أي من زهدوا في الدنيا ويُوصف الشيء القليل أو غير المرغوب فيه بأنه "زهيد". وقد ورد أيضًا عن ثعلب أن "زَهُد" بالضم تُستخدم للمعنى نفسه. أما "التزهيد" في الشيء أو عنه، فهو عكس "الترغيب" فيه ويُقال "زَهَّده في الأمر" أي جعله يتركه أو لا يرغب فيه. قد عرّف محمد فهمي وآخرون (٢٠١٦) الزهد بأنّه حياة الإنسان الذي لا تسيطر عليه رفاهية الدنيا ولا ملذّاتها. أمّا الرازي (١٩٦٧) فيرى أنّ الزهد صفة تنبع من كراهية التعلّق بالدنيا.

يرى عبد القادر (١٩٦٤) والغزالي (١٩٩٦) أنّ الزهد هو ترك التعلّق بالدنيا والتوجّه إلى الآخرة. وفيما يرى حمكا أنّ الزهد يعني عدم الانشغال بمتاع الدنيا ومكانتها وجاهها ومالها. أمّا عبد الملك (١٩٩٠) فيؤكد أنّه لا ينبغي للإنسان أن يركّز على الجانب الروحي وحده ويُهمل شؤون الدنيا كليًا، لأن ذلك قد يؤدّي إلى مشكلات أخرى، بل المطلوب إفراغ القلب من حب الدنيا وملؤه بحب الله ومعرفته. فكلما تخلّص القلب من زخارف الدنيا، ازداد حبّ الله فيه وتوجّهه ومراقبته ومعرفته به. ومن ثمّ، يرى العارفون "أنّ الزهد وسيلة للوصول إلى الله وشرطٌ لنيل محبته ورضاه، وليس غايةً في ذاته (منقور، ٢٠٠٤)".

موضوعات الشعر في العصر العباسي

شهد العصر العباسي بروز عدد من كبار الشعراء الذين أبدعوا في نظم الشعر بمختلف أغراضه. ومن أبرزهم بشّار بن بُرد، الذي رغم فقدانه بصره لم يتوانَ عن تصوير تهافت النساء عليه وعشقهن له في شعر الغزل (عاشور، ٢٠٠٧). كما اشتهر أبو نواس في الكتاب الذي ألفه عباس العقاد (٢٠١٢) بشعر الخمريات، حيث تفنّن في وصف الخمر وأوانيها حتى ارتبط هذا الغرض باسمه. ويرى الكرملي (١٩٠٢) أنّ شعر الوصف تميّز عند البحتري، ولا سيما في تصويره قصور

الخلفاء ومبانيهم متغنيًا بجمالها. أمّا ابن خالويه (٢٠٠٠) فقد أشار إلى أنّ المتنبي تألّق في شعر المدح، خصوصًا في مدائحه لسيف الدولة الحمداني التي تأجّجت في بلاطه.

ذُكر آنفًا أنّ موضوعات الشعر كانت انعكاسًا لروح العصر، وقد شهد العصر العباسي تطوّرًا ملحوظًا وتنوّعًا واسعًا في الأغراض الشعرية نتيجة التفاعل الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم، الأمر الذي أسهم في بروز فنون جديدة وازدهار أخرى كانت قائمة من قبل. فقد ازدهر شعر رثاء الدول والممالك الزائلة بسبب الكوارث والنكبات التي أصابت المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة. كما شاع شعر المجون وبرز له أعلام معروفون، في حين تطوّر شعر الزهد والتصوّف ليغدو مدرسة شعرية مستقلة كما في أعمال أبي العتاهية ومحمود الورّاق وصالح بن عبد القدوس. كذلك تبلورت الخمريات بصورة واضحة في شعر أبي نواس الذي صوّر مجالس الشراب والقيان والغلمان والحانات تصويرًا فنيًا دقيقًا. ومن الابتكارات في العصر العباسي أيضًا الشعر التعليمي، إلى جانب توسّع فن الوصف ليشمل مظاهر الحياة الحضرية من قصور وحدائق وأطعمة. كما انعكست الظواهر الاجتماعية في الشعر العباسي، وقد ظهر في العصر العباسي الغزل بالمذكّر باعتباره ظاهرة أدبية ارتبطت بمجالس اللهو والمجون، في حين تراجع الغزل العذري العفيف الذي عُرف في العصر الأموي بصفائه ونقائه (ضيف، ١٩٨٢).

شعر الزهد في العصر العباسي

تشير فوزية ميموني (٢٠١٨) إلى أنّ الزهد لم يكن ظاهرة مستحدثة في العصر العباسي، بل تعود جذوره إلى عهد الصحابة ثم تطوّر في العصر الأموي ليأخذ شكلًا شعريًا أكثر وضوحًا على ألسنة الوعّاظ والقصّاص الذين انعكست في أشعارهم ملامح الزهد والدعوة إلى التخفّف من التعلّق بالدنيا. ولم يقتصر تأثير شعر الزهد في العصر الأموي على الجانب الديني المستمد من القرآن الكريم والسنّة النبوية، بل تأثّر أيضًا بعوامل أخرى كالظروف الاقتصادية والسياسية، فضلًا عن العوامل الخارجية الناتجة عن احتكاك العرب بالأمم التي دانت بديانات متعدّدة تحمل رؤى وفلسفات زهدية خاصة بها. ومع مطلع العصر العباسي تطوّر شعر الزهد ليصبح فنًا مستقلًا له مكانته، وجاء ليواجه تيارات الإلحاد والانحراف والانغماس في الملذّات (سعد، ٢٠١٦).

تميّز العصر العباسي ببروز شعر الزهد بشكل لافت فاق ما شهده أي عصر سابق، حتى أصبح ظاهرة واضحة ومهّد لاحقًا لظهور التصوّف. وقد جاء هذا الشعر ردًّا على حالة الترف والانحلال الأخلاقي التي عمّت المجتمع، حيث شاعت مظاهر المجون والانفلات والجرأة غير المألوفة والمتعارضة مع تعاليم الإسلام. فكان الزهد وسيلة للتعبير عن رفض هذا الواقع، وجعل منه الشعراء محورًا رئيسًا في إنتاجهم. وإلى جانب ذلك، انتشر الوعّاظ في المساجد وازدحمت شوارع بغداد بالدعاة الذين نادوا بالعودة إلى الله، والابتعاد عن المنكرات، والتخلّي عن اللهو والملذّات (ضيف، ١٩٦٦).

عرّف الغزالي (١٩٧٥) شعر الزهد بأنّه الشعر الذي يدعو إلى الموعظة ويحثّ الناس على النسك والعبادة، ويرى أنّ من أراد حياة هنيئة في الآخرة فما عليه إلا أن ينبذ ملذّات الدنيا ويُعِدّ نفسه لتلك الحياة الأبدية. ويذكر شوقي ضيف (١٩٦٦) أنّ العصر العباسي الأوّل قد شهد لونين من الزهد: زهدًا إسلاميًّا خالصًا أُعِدّ للنسك والتصوّف،

وزهدًا مانويًّا مارقًا تأثّر بالبوذية، وقد قاومته الدولة وأتباعه مقاومة عنيفة. وكان من سمات هذا الزهد المارق أن يعتمد الناسك في معيشته على التسوّل وطلب العون من الآخرين بدلًا من الكسب والعمل. كما اتّسم شعر الزهد في العصر العباسي بعدد من الخصائص التي جعلته يختلف عن غيره من الأغراض الشعرية في ذلك الزمن، وقد جاءت هذه السمات منسجمة مع طبيعة الزهد ومقاصده، ومن أبرزها:

- الطابع التعليمي والمباشر: غلب على شعر الزهد الطابع الوعظي، إذ كان الشعراء يستخدمونه وسيلةً لتذكير الناس بالآخرة والحث على التخلي عن متاع الدنيا الفانية. ولهذا السبب، ابتعد هذا الشعر عن الزخارف البلاغية والصور الفنية المعقدة، مفضلًا الأسلوب المباشر الذي يخاطب عامة الناس دون تعقيد أو تصنّع.
- البساطة والوضوح: تميز أسلوب هذا الشعر بالبساطة واستخدم مفردات سهلة الفهم مما جعله قريبًا من الناس، ويسهل تلقّيه وفهم رسائله الأخلاقية والدينية.
- الوحدة الموضوعية: كانت معظم قصائد الزهد تدور حول فكرة واحدة رئيسية وهي الدعوة إلى الزهد، والتأمل في فناء الدنيا والاستعداد للآخرة مما منحها طابعًا متماسكًا وواضح الهدف.
- التناص مع الحكم والنصوص الدينية: كثيرًا ما استشهد شعراء الزهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال الشعبية وأقوال الحكماء مما منح شعرهم قوة دينية وفكرية، وعزز رسالتهم التوجيهية.
- استخدام البحور القصيرة والرجز: شاع في هذا النوع من الشعر استخدام الأوزان القصيرة والبحور المجزوءة، وخاصة بحر الرجز وذلك لملاءمته للتعبير السريع والمباشر ولسهولة حفظه وترديده.
- هيمنة المقطوعات الشعرية: غلب على شعر الزهد أن يُكتب على هيئة مقطوعات قصيرة وليس قصائد طويلة ويُعزى ذلك إلى أنّ هذه المقطوعات كانت غالبًا نتاج لحظات تأمل روحي عميق في حال الدنيا، فخرجت معبرة عن تلك اللحظات بشكل مختصر ومكثف، كما هي طبيعة التجارب الروحية العابرة.

لم يكن جميع شعراء الزهد في العصر العباسي من الزاهدين منذ بداياتهم أو ممن نشأوا على الورع والتقوى؛ بل كان من بينهم من عاش حياة اللهو والانحراف، وأسرف على نفسه في المعاصي والملذات. هؤلاء الشعراء غرقوا في المجون والفجور لفترات طويلة لكنهم بعد ذلك استيقظوا على خوف داخلي وشعور بالندم والفزع كما هي طبيعة النفس البشرية حين تدرك حقيقة ضعفها ومصيرها. فاختاروا طريق الزهد، لعلّه يكون وسيلة للتكفير عن ذنوبهم وتوبةً صادقة، ومن أبرز هؤلاء: أبو العتاهية، وصالح بن عبد القدوس، وأبو نواس (الشكعة، ١٩٨٦).

نبذة عن حياة أبي العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العيني العنزي بالولاء، وكنيته أبو إسحاق (خديجة، ٢٠٢٣). وقد لُقّب بأبي العتاهية، وقيل إنّ محمد بن يحيى هو الذي أطلق عليه هذا اللقب لما كان معروفًا به من حبّ الشهرة والمجون (أبو العتاهية، ١٩٨٦). وهو يُعَدّ من أشهر شعراء العصر العباسي، إذ كان كثير الشعر، سريع البديهة، مبدعًا في نظمه، حتى قيل إنّ من الصعب الإحاطة بجميع ما نظمه لغزارته. كما يُصنَّف ضمن أبرز شعراء المولّدين، وكان من طبقة بشّار

بن بُرد ومن هم في منزلته. وله ديوان طُبع يضمّ عددًا من قصائده، وقد قام يوسف بن عبد الله بن عبد البر بجمع قصائده الزهدية في مجلّد بعنوان زُهديات أبي العتاهية .وهو عُرف بتفوّقه في شعر الزهد والمديح، وكان من أكثر شعراء زمانه إنتاجًا (عبد الرحيم، ٢٠٠٨).

وُلد في "عين التمر" قرب الكوفة ونشأ فيها ثم سكن ببغداد. عمل في بداية حياته بائعًا للجرار، فلقب بـ "الجرار". ثم ارتبط بالخلفاء ونال مكانة عظيمة عندهم لكنه ترك الشعر فترة من الزمن. وعندما علم الخليفة المهدي العباسي بذلك، استدعاه وهدده بالقتل إن لم يعد إلى قول الشعر فاستجاب وعاد للنظم وأبدع فيه مجددًا. توفي في بغداد، وقد ألّف ابن عماد التقي أحمد بن عبد الله (توفي سنة ٩٦٩) كتابًا بعنوان أخبار أبي العتاهية. كما ألّف المعاصر محمد أحمد برانق كتابًا عن حياته وشعره بعنوان أبو العتاهية (الساعدي، ٢٠٠٩).

حياة أبي العتاهية قبل ترك المعاصي

يذكر قاسم يحيجي ودامهوري (٢٠١٤) أنّ أبا العتاهية بدأ يُظهر منذ سنّ مبكرة، وقبل بلوغه مرحلة المراهقة، سلوكًا غير مألوف، حيث انجذب إلى تقليد مظهر النساء في زينتهن وملابسهن، وعبّر عن نفسه بأسلوب غريب عن بيئته. ويرى الأصفهاني (١٩٢٨) أنّ هذا الميل كان نتيجة نشأته في بيئة فقيرة خالية من مظاهر الرفاهية أو المكانة الاجتماعية التي تمنح شعورًا بالفخر والتميّز. وقد عاش الشاعر حياة بسيطة، بينما كان يراقب الترف والثراء المحيط بالخلفاء وأصحاب النفوذ في عصره، وهو ما ولّد لديه شعورًا بالنقص والدونية. وقد دفعه هذا الشعور إلى الهروب نحو حياة اللهو والانخراط في أوساط الفنانين الذين عُرفوا بتصرّفات خارجة عن المألوف. ومع ذلك، فقد أسهمت هذه التجربة المتمرّدة في صقل شخصيته الشعرية، وجعلته واحدًا من أبرز شعراء العصر العباسي (ضيف، ١٩٦٦).

حياة أبي العتاهية قبل الموت

اقترح ميلود عبيد منقور (٢٠٠٤) أنّ أبا العتاهية انتقل في أواخر حياته إلى حياة الزهد والتصوّف. ويُقال إنّه ترك صحبة هارون الرشيد التي لازمها طويلًا، ثم تاب توبة صادقة وزهد في الدنيا. وتدور أبرز قصائده الزهدية حول الترهيب من الدنيا والترغيب في الآخرة، حيث كان ينشرها دعوةً صادقة للتقرّب إلى الله بالأعمال الصالحة وتذكير الناس بيوم القيامة والبعث. وأوّل ما يُلحظ في هذا الشعر هو شعوره العميق بالندم على ما فرّط في حقّ الله وما ارتكب من خطايا. ويذكر عمر فروق (١٩٩٧) في ديوان أبي العتاهية أنّ الشاعر لم يكن يخشى الموت فحسب، بل كان يرتعب ممّا بعده من مشاهد القيامة وأهوالها وما يليها من مصير محتوم في إحدى الدارين. فيقول في شعره:

فلو كان هول الموت لا شيء بعده ... لهان علينا الأمر واحتقر الأمر
ولكنه حشر ونشر وجنة ... ونارٌ وما قد يستطيل به الخبر

انصرف أبو العتاهية عن حياة اللهو والعبث متخلّيًا عنها ليعيش حياة الزهد والتقشّف. فأضحى شعره مشبعًا بالعِظات والمواعظ، داعيًا إلى التنسّك ومجاهدة النفس وحرمانها من الملذّات، ومن هنا اقترب أسلوبه من شعراء الأخلاق

والحكمة. وفي هذا السياق، يقول محمد خلف الله (١٩٤٧): إنّ شعر أبي العتاهية بطابعه التعليمي قد أدّى دورًا بارزًا في تهذيب الذوق الإسلامي وتربية الناشئة. وقد سار أبو العتاهية في حياته على منهج الزهد والتقوى، فكان يعفو عمّن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه، مستنكِرًا حال الناس الذين انشغلوا بالدنيا كأنّهم ركنوا إليها ونسوا أنّها مجرّد طريق إلى الآخرة. وكثيرًا ما تناول في شعره طاعة الله وانتقاد سلوك العصاة الذين خدعهم شبابهم فغفلوا عن حقيقة الموت القريب (منقور، ٢٠٠٤).

القيم الإسلامية في مقطوعة الزهد لأبي العتاهية

نظرًا لأن الشعر كان ديوان العرب، ومصدر توثيقهم التاريخي والثقافي، وكان عمود الشعر يمثل الدعامة الأساسية في بناء القصيدة العربية، فقد شكّل الشعر أداة فعالة في إيقاظ الوعي الوطني ومواجهة النفوذ الأجنبي. ومن هذا المنطلق، لم تكن المحاولات لإضعاف الشعر العربي مجرد انتقاد أدب، بل كانت جزءًا من مخطط ثقافي استهدف هدم الرموز التي حافظت على هوية الأمة. ومن أبرز التهم التي وُجّهت إليه وصفه بأنّه "شعر مناسبات"، وذلك في محاولة لتقليص دوره في التعبير عن القضايا الكبرى مثل الوحدة الإسلامية ومقاومة الاستعمار، والنضال ضد الصهيونية (الجندي، ١٩٨٦). وفي ظل هذا السياق، برز شعر الزهد اتجاها حافظا على الصلة القوية بالروح الإسلامية والمبادئ القرآنية. ويُعَدّ الشاعر أبو العتاهية من أبرز أعلام هذا التيار حيث تميزت قصائده الزهدية بتناولها لمفاهيم وأفكار إسلامية متعددة، استندت في الغالب إلى معانٍ قرآنية راسخة. فقد أظهر قدرة فريدة على صوغ معاني القرآن الكريم في قالب شعري، بحيث يشعر القارئ كأنّه يقرأ تأويلاً أدبيًا للقرآن. وهذا ما جعل شعره الزهدي يتميز بعمق المعنى وبساطة التعبير في آنٍ واحد، فالأمر الذي يُمَكِّن القارئ من أن يُدرك بسهولة الأصول القرآنية التي استوحى منها الشاعر مضامينه.

وممّا يلفت النظر أنّ أبا العتاهية لم يكن يُفرد قصائد مستقلّة لكل موضوع، بل كانت موضوعاته الدينية ـ كالتوحيد وأداء العبادات كالصلاة والزكاة، والزهد في الدنيا ـ تتوزّع داخل القصيدة الواحدة متداخلةً ومبثوثةً في أبياته دون فصل أو تخصيص.

وإذا تأمّلنا مجمل هذه الموضوعات في شعره الزهدي، بدا بوضوح عمق إيمانه وصفاء عقيدته وتأثّره العميق بالروح القرآنية، وهو ما يدحض الاتهامات التي وُجّهت إليه بالكفر أو الزندقة. ومن أبرز ما يتجلّى في شعره أيضًا تعبيره الصادق عن التوبة والندم، واعترافه الصريح بذنوبه، كما يظهر في بعض أبياته التي نظمها عند بلوغه سنًّا متقدّمة قيل إنّها بلغت الثمانين.

في تلك المرحلة أدرك الشاعر قرب أجله، فأعاد النظر في ما قدمه خلال حياته ورأى أنه قد أسرف على نفسه وقصر في حق ربه فاستولى عليه الحزن والندم، ولجأ إلى الله راجيًا عفوه وغفرانه معترفًا بخطاياه ومقرًّا بعجزه فلا ملجأ له إلا في رحمة الله وكرمه. ويقول في أحد أبياته:

"ويقر الشاعر في الأبيات التالية بأن زلاته كثيرة وأنه كلما تذكرها استبد به الندم، ولكنه يعود فيتوسل إلى الله تعالى مستندًا إلى سعة فضله ورحمته وعفوه عن عباده..."

ويُفصح أبو العتاهية في أبياته عن واحدة من كبائر زلّاته، وهي شدّة تعلّقه بالدنيا وحرصه على متاعها وطول أمله فيها. وقد ازداد شعوره بالحسرة حين أدرك أنّ الناس قد ظنّوا به خيرًا ونسبوا إليه الزهد والتقوى، بينما هو يقرّ بأنّ زهده لم يكن حقيقيًّا بل كان مجرّد مظهر لا يرقى إلى الزهد الصادق؛ إذ لو كان كذلك لما أحبّ الدنيا ولما ركن إلى أهلها. ويختم الشاعر هذا الموقف بإقرار صريح بأنّ الناس قد يحسنون الظنّ به، لكن إن لم يعفُ الله عنه فهو من شرّ الخلق. وتكشف هذه الأبيات عن صدق توبته وعمق تواضعه وشدّة رجائه في رحمة الله، وهي كلّها مظاهر تؤكّد قوة إيمانه وتُسقط ما نُسب إليه من اتهامات الزندقة والباطل.

الأسلوبية في مقطوعة أبي العتاهية في الزهد

اختار الشاعر لأبياته في الزهد ألفاظا وأساليب سهلة واضحة وهذا مما يتلاءم ويتناسب مع غرض الزهد الذي يتطلب اللفظ الواضح والأسلوب البين السهل حتى ينفذ المعنى إلى القلوب ويكون له أثر في الأسماع والنفوس، ومن ثمّ جاء أثر ألفاظه التي تخلو من الغرابة والغموض، إذ انتقى العبارات والأساليب الواضحة التي لا يشوبها التعقيد ولا يكتنفها الإبهام.

إلهـــي لا تـــعـــذبـــني فـــإني مـــقـــر بالـــذي قـــد كـــان مـــني

كما نعلم، فإنّ الأسلوب الإنشائي لا يحتمل الصدق أو الكذب لكونه لا يفيد خبرًا. وقد استُخدم في هذا البيت أسلوب النداء بقول الشاعر: (إلهي)، وتقديره: (يا إلهي). وحُذفت أداة النداء (يا) لأنّ المنادى معلوم ومقرَّب إلى نفس الشاعر، وهو الله تعالى الذي هو أقرب إلى عبده من أيّ أحد. والغرض من هذا النداء ليس مجرد النداء العادي، بل التعبير عن الخشوع والتضرّع، ولذلك جاء الخطاب مباشرًا دون أداة، وهو أسلوب شائع في الأدعية والنصوص الدينية.

ثم، تطرّق الشاعر إلى أسلوب النهي المجازي في قوله :(لا تعذّبني)؛ إذ لم يأتِ النهي على حقيقته، وإنّما ورد على سبيل المجاز، والمقصود به الرجاء، لأنّ العبد لا ينهى ربَّه، بل يتوسّل إليه بالدعاء. وهذا النهي يحمل في طيّاته التوسّل والابتهال، فهو في جوهره دعاء بألّا يعذّب الله عبده. كما استخدم الشاعر أسلوبًا خبريًا حقيقيًا يقوم على التوكيد في قوله: (فإني مقرّ بالذي قد كان منّي)، وهو يفيد الإقرار والاعتراف بالذنب وبما ارتكبه في حياته من آثام، الأمر الذي يعزّز طلب الرحمة في البيت السابق. وهكذا يظهر التوازن البلاغي بين الدعاء بالرحمة في الشطر الأوّل والاعتراف بالذنب في الشطر الثاني، وهو ما يزيد من صدق التوسّل وقوّة الرجاء.

لذلك، ومن الجمال البلاغي في هذا البيت أن الشاعر قدّم الدعاء بقوله: "لا تعذبني"، قبل الاعتراف بالذنب، مما يجسّد حالة الاضطرار والخوف، واستعجال الرحمة من الله تعالى. ثم أتبع هذا الدعاء باعتراف صادق فقال: "فإني مقرّ بالذي قد كان مني"، وكأنّه يقول: لا أطلب العفو ادعاء أو مكابرة، بل لأني معترف بخطيئتي، راج عفو ربي وغفرانه.

ومـــا لي حـــيـــلـــة إلا رجـــائـــي وعـفـوك إن عـفـوت وحســـن ظـني

يقدّم الشاعر جملة خبرية ذات معنى التوسّل والانكسار في قوله: (وما لي حيلة إلا رجائي). فهي في ظاهرها إخبار، لكنّها تفيد الاعتراف بالعجز الكامل والاعتماد التام على رجاء الله. ويبرز في هذا الموضع أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، حيث يدلّ على أنّ الشاعر لا يملك شيئًا يعتمد عليه سوى الرجاء، وهو أسلوب بلاغي يقوّي المعنى ويؤكّده. أما قوله: (وعفوك إن عفوت وحسن ظني) فهو جملة خبرية مشبعة بمعاني الرجاء والثقة بالله، إذ تتضمّن جملة شرط: (إن عفوت)، وجوابها: (فعفوك هو أملي وحسن ظني بك). ويجمع البيت بين الرجاء وحسن الظن بالله، وهما من أعظم مقامات العبودية وأرقى معاني التوبة والدعاء.

وقد أبدع الشاعر في الجمال البلاغي عند قوله: (ما لي حيلة)، فهو تعبير صادق عن فقره المطلق إلى الله وشعوره بالانكسار والافتقار. ثم انتقل من الاعتراف بالعجز، إلى الرجاء، ثم إلى طلب العفو، وأخيرًا إلى حسن الظن بالله، في تسلسل بلاغي يشبه السلّم التصاعدي نحو التوسّل الكامل. كما يتجلّى التناغم الصوتي والتوازن المعنوي بين كلمتي (رجائي وظني)، وهو ما يمنح البيت موسيقى داخلية جميلة ويؤكّد تعلق القلب بالله.

يتسم هذا البيت بطابع وجداني عميق، حيث تتجلّى فيه ملامح الخضوع والانكسار أمام عظمة الخالق. فالشاعر لا يملك من أمره شيئًا، ولا يعتمد على حيلة أو سبب سوى رجائه في رحمة الله. تأتي عبارته "وما لي حيلة إلا رجائي" مُفعمة بمعاني الضعف الإنساني، وفيها قصرٌ بديع يُبرز ضآلة الحيلة أمام عظمة الرجاء. ثم يُعلّق الأمل على العفو الإلهي في قوله "وعفوك إن عفوت"، في إشارة إلى أنّ الرجاء وحده لا ينفصل عن يقين الرحمة. ويكتمل المعنى حين يربط ذلك بحُسن ظنه بالله في موقف يُمثّل جوهر التوبة الصادقة حين لا يبقى للعبد مفرٌّ إلا باب الله المفتوح على الدوام، مهما عظُمت الذنوب وكثُرت العثرات.

فكم من زلة لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضل ومنّ

ينتمي هذا البيت إلى الأسلوب الخبري من حيث الشكل لكنه يحمل انفعالا وجدانيا مما يجعله من الأسلوب الإخباري الإنشائي إيحاء بالشعور التضرع والرجاء والتوبة أي يعبر الشاعر عن التوبة والندم ويتوجه فيه الشاعر إلى الله تعالى معترفًا بكثرة ذنوبه ومعوِّلًا على رحمة الله وفضله. ثم برز الأسلوب العاطفي الذي تغلب عليه العاطفة الدينية الصادقة، والمتمثّل في شعور الشاعر بالتوبة والانكسار. ويتجلّى في البيت توتّر داخلي بين الإحساس بالذنب. كما في ألفاظ مثل: (زلة والخطايا) – وبين الأمل في الرحمة – كما في ألفاظ مثل: (فضل والمنّ). وقوله (وأنت على ذو فضل ومن) تفيد استمرارية فضل الله ومنه وعطائه.

استخدم الشاعر (كم) الخبرية في قوله: (كم من زلّة) للمبالغة في كثرة الزلّات، وهو نوع من الإطناب الذي يبيّن وفرة الذنوب والمعاصي. كما وظّف طباقًا معنويًا بين كلمتَي (زلّة) و(فضل) ليقابل بين التقصير والعطاء. وأبرز جماليات البيت أيضًا ازدواج اللفظ والمعنى في كلمتَي (فضل) و(منّ)، بما يحقّق تناغمًا صوتيًا وتوازيًا معنويًا يضفي إيقاعًا مؤثرًا ويؤكد المعنى. ويستمر هذا البُعد الجمالي حين لجأ الشاعر إلى الالتفات، منتقلاً من الحديث عن النفس في قوله (لي) إلى مخاطبة الغائب في قوله (وأنت)، وهو تحوّل بلاغي يثير الانتباه ويعكس انتقالًا من الاعتراف بالذنب إلى الرجاء، مما يمنح البيت طابعًا وجدانيًا تعبيريًا عميقًا.

إذا فكرت في ندمٍ عليها عضضت أناملي وقرعت سني

في هذا البيت يصور الشاعر على ندمه الشديد بعد ارتكاب الذنب حتى عضضت أنامله وقرعت أسنانه من شدة الحسرة ويحمل هذا التعبير طابعًا خبريًا إنشائيًا إيحائيًا، فهو أسلوب وجداني تعبيري يعكس الاضطراب النفسي للشاعر. وفي كلمتَي (عضض) و(قرع) يتجلّى التعبير عن عاطفة الندم العميق والحسرة المؤلمة من خلال أفعال جسدية قوية تنقل الانفعال والانكسار إلى أقصاه. وكلتاهما كناية عن شدّة الندم؛ إذ إنّ الإنسان إذا بلغ أقصى درجات الندم عضّ أصابعه وقرع أسنانه. وهاتان الصورتان الحسيّتان المؤلمتان تجسّدان الألم النفسي عبر سلوك جسدي ملموس.

استخدم الشاعر أسلوب الشرط الذي يدل على التكرار، أي كلما فكرت ندمت، ويكشف هذا البيت عن تتابع زمني يتّسم بالاستمرار والتكرار في تصوير الألم، حيث جاءت الجمل الفعلية المتتابعة (عضضت، قرعت) أفعالًا مضطربة سريعة توحي بحالة هيجان نفسي داخلي. كما أنّ تكرار حرفي الضاد والقاف، وهما من الأصوات الشديدة، يضيف إحساسًا بالحدة والتوتّر النفسي. ويكتمل جمال البيت بتوازنه الإيقاعي الذي يمنحه وقعًا قويًا ومؤثرًا في نفس السامع.

يظن الناسُ بي خيراً وإني لشرّ الناسِ إن لم تعفُ عني

يواصل الشاعر الكشف عن التناقض بين ما يراه الناس فيه وما يعرفه عن نفسه، فهو في الوقت نفسه يتوسّل إلى الله ويقرّ بذنبه متذلّلًا وراجياً العفو. ويسود البيت أسلوب عاطفي تقريري حزين تتجلّى فيه مشاعر الندم والخوف من سوء المصير، مع التوسّل إلى العفو والإحساس بمرارة النفاق الاجتماعي. ويتجلّى البعد البلاغي في المقابلة بين قوله: (ظنّ الناس بي خيرًا) وقوله: (إني لشرّ الناس)، وهي مقابلة قوية توضّح التناقض بين الظاهر المحمود والباطن المذنب. ويزداد المعنى جمالًا حين يوظّف الشاعر أسلوب الشرط الضمني في قوله: (إن لم تعفُ عني)، وجوابه: (فأنا شرّ الناس)، وهو أسلوب ينطوي على مبالغة في التذلّل، وكأنّ العفو هو الشرط الوحيد للنجاة من سوء حقيقته.

قدّم الشاعر "إن" و "لام التوكيد" في جملة "وإني لشرّ الناس" لتقوية المعنى، أي تأكيد الذنب وهذه التراكيب النحوية تقوّي الإحساس بالصدق والانكسار. ثم، يكرر الصوت في "شرّ الناس" و"تعفُ عني" لحرف العين والنون يضيف موسيقى حزينة والوقف في "تعفُ عني" بنهاية الياء يُعطي نغمة رجاء وتوسل.

أجن بزهرة الدنيا جنونا وأفني العمر فيها بالتمني

يتحدث الشاعر عن افتتانه بزخارف الدنيا وزينتها إلى درجة الجنون وانشغاله الدائم بها دون تحقيق شيء حقيقي حتى فني عمره بالأمنيات الكاذبة والأحلام المؤجلة الذي يخبر عن حاله الندم واللوم الذاتي والتحسّر على ضياع العمر فهو من أسلوب إيحائي تعبيري. في قوله: (زهرة الدنيا) تظهر استعارة بيانية تقوم على تشبيه الدنيا بالزهرة بما لها من صفات الجمال والجاذبية، لكن مع قصر عمرها وزوالها، وهو تصوير يوحي بغرور الدنيا وخداعها. كما استخدم الشاعر كناية في لفظ (أجن) للدلالة على الافتتان الزائد والانغماس بلا عقل، وقوله: (أفني العمر بالتمنّي) كناية عن العيش في الأوهام دون عمل، وهو تصوير لحياة ضاعت في أمنيات لا تتحقّق. وتبرز كذلك مقابلة ضمنية بين الجنون بزينة الدنيا

(الأولى) وفناء العمر بالتمني (الثانية)؛ فالأولى تعبّر عن الفعل والانجراف وراء الملذات، بينما الثانية تعبّر عن النتيجة: الضياع والحسرة.

استعان الشاعر أيضًا بالتكرار في الجملة الفعلية (أجن) و(أفني)، وهو تكرار يوحي بالاستمرارية في الخطأ والانشغال ويصوّر حالة متواصلة من الغفلة. كما استخدم التوكيد بالمصدر في كلمة (جنونًا) لتأكيد حالة الانبهار الشديد بالدنيا، وهو أسلوب بلاغي يعزّز المعنى ويقوّي الإحساس بالاضطراب. وإلى جانب ذلك، منح تكرار حرفي النون والياء البيت نعومة صوتية تعكس جاذبية الدنيا، بينما تحوّل الإيقاع في كلمتَي (أفني) و(التمني) إلى نغمة حزينة توحي بالندم، في انسجام موسيقي يواكب المعنى ويقوّي أثره العاطفي.

وبين يدي محتبس ثقيل كأني قد دُعيتُ له كأني

يصف الشاعر حاله عند اقتراب الموت، فيصوّر ما أمامه أمرًا محتبسًا ثقيلًا، أي مرهقًا مهيبًا كأنّه دُعي إليه دعوة لا مفرّ منها ودُفع إليه قدرًا. ويعكس البيت مشاعر القلق والخوف من المصير المحتوم، مصحوبة بنبرة استسلام وخضوع لما لا يمكن دفعه، خاصة مع تكرار أداة التشبيه (كأني). وقد لجأ الشاعر إلى الاستعارة في قوله (محتبس ثقيل) للدلالة على الموت أو الحساب؛ فالاحتباس يوحي بالمحجوب المؤقّت الذي لا بد أن يأتي، والثقل يشير إلى رهبة الموقف وصعوبته. كما يعكس التكرار في (كأني) في الشطر الثاني حالة ذهول وترديد داخلي أمام هول المنتظر، وهو تكرار بديعي ذو بعد نفسي كأنّه حديث النفس في لحظة قلق. ويؤكّد هذا المعنى قوله (دعيت له)، وهي كناية عن استدعاء الموت أو الحساب، بما يوحي بالعجز عن دفعه أو الفرار منه.

ومن الناحية الصوتية، يمنح تكرار لفظ (كأني) إيقاعًا متردّدًا مضطربًا يعكس التوتّر النفسي والاستعداد القلق، بينما توحي الأصوات الثقيلة مثل الثاء في (ثقيل) والحاء في (محتبس) بخنقة اللحظة وثقلها. وقدّم الشاعر الظرف المكاني في قوله (بين يدي محتبس) ليركّز على قرب الحدث منه وكأنّه واقع أمامه بالفعل.

ولو أني صدقت الزهد فيها قلبتُ لأظهرَ الزهدَ المجنَّ

الشاعر يقر بعدم صدقه في الزهد في الدنيا ويقول لو كنت صادقا في زهدي، لقلّبت الدنيا كما تُقلَب المجنّ أي لا أبالي بها وأتصرّف معها بجفاء واحتقار، فقط لأُظهر صدقي في الزهد. في الشطر الأول من قول " لو أني صدقت" يوظّف الشاعر أسلوبًا خبريًا شرطياً بأداة الشرط (لو)، وهي أداة تدلّ على امتناع وقوع الفعل. ويحمل هذا التعبير اعترافًا ضمنيًا بالتقصير والرياء وهو أسلوب اعترافي إيحائي وفيه ندم خفي. واستعان الشاعر أيضًا في الشطر الثاني: (قلّبتُ لأُظهر الزهدَ المجنّ)، بكناية عن تبرّئه من أهل الدنيا وتنكره لزخارفها. بعده، يقوم الشاعر في هذا البيت بأصوات حِدّة وقوة تعكس فكرة قلب الأمور والتصادم مع الدنيا، فهذا يمكن أن نرى في كلمات "المجنّ"، "الزهد"، "قلبت"، وأيضا التوازن الإيقاعي بين الشطرين يمنح البيت انسجامًا تعبيريًا بين الشرط ونتيجته ويضفي نبرة خفية من التهكم الذاتي.

بالشمول، استخدم أبو العتاهية في بعض أبياته بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن). وهو وزن شعري يتيح للشاعر أن يعرض من خلاله معانيه وأفكاره ويبثّ مشاعره وأحاسيسه والتعبير عما يعتمل في قلبه من ألم وندم ورغبة في العفو والصفح والغفران.

الخاتمة

يُعدّ هذا البحث إسهامًا يهدف إلى الكشف عن القيم الإسلامية في شعر الزهد عند أبي العتاهية إلى جانب الوقوف على جمالياته الأسلوبية. وترجو الباحثات أن يكون هذا البحث نافعا ومثمرا للقراء، وخاصة للدارسين في مجال الشعر العربي.

أسفر هذا البحث عن عدد من النتائج المهمة، ويمكن تلخيص أبرزها في النقاط التالية:

١. يُعد أبو العتاهية من أبرز الشعراء الذين اشتهروا بشعر الزهد وقد مرّ في شبابه بمرحلة انشغل فيها بتقليد النساء في الزينة والملبس وانغمس في الذنوب والمعاصي ثم ما لبث أن تاب توبة صادقة، فتحول في أواخر حياته إلى طريق الزهد والتصوف وابتعد عن مجالس اللهو وترك صحبة الخليفة هارون الرشيد زاهدًا في الدنيا.

٢. تركز الأسلوبية على دراسة اللغة في ذاتها من خلال تحليل البنية الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية للنص بهدف الكشف عن السمات الأسلوبية وخصائص التعبير. وهي علم يتقاطع مع مجالات عدة مثل اللسانيات والبلاغة حتى إن بعض الباحثين يرون فيها امتدادًا للبلاغة التقليدية أو ما يُعرف بـ"البلاغة الجديدة".

٣. يهدف شعر الزهد إلى تقديم النصيحة والإرشاد ودعوة الناس إلى حياة التواضع والعبادة مع توضيح أن السعادة في الآخرة تتطلب ترك ملذات الدنيا والاستعداد للحياة الأبدية. ويُعد أبو العتاهية من أبرز الخبراء في نظم هذا النوع من الشعر.

٤. برز شعر الزهد تيارا أدبيا يحافظ على صلة وثيقة بالروح الإسلامية والقيم القرآنية. ويُعد الشاعر أبو العتاهية من أبرز رواد هذا التيار حيث تميزت قصائده الزهدية بتناولها مجموعة من الأفكار والمفاهيم الإسلامية التي استمدها في الغالب من معان قرآنية عميقة وثابتة. ويحتوي هذا الشعر الذي تناولته الباحثات على تلك القيم الإسلامية بوضوح.

٥. اكتشفت الباحثات الأسلوبية في هذا الشعر الذي كتبه أبو العتاهية بعد أن بلغ سنًا كبيرة حيث قيل إنه بلغ ثمانين عامًا. عندما أحس بقرب أجله واقتراب ساعته نظر إلى ما قدمه في حياته من أعمال، فرأى أنه قد قصر وظلم نفسه بارتكاب المعاصي والذنوب والآثام والمنكرات، فتاب إلى ربه راجيًا عفوه وغفرانه. كان مُقرا بذنوبه معترفا بأخطائه ومُدركا أنه لا ملجأ له إلا في رجائه لعفو الله وحسن ظنه به.

التوصيات

جاءت توصيات الباحثات موجَّهة إلى الباحثين اللاحقين، ومن أبرزها:

١. يُعَدّ أبو العتاهية رائد شعر الزهد في الأدب العربي، ولا تزال هناك مؤلَّفات عديدة عنه لم تُكتشف بعد، ممّا يستدعي تشجيع الباحثين على دراستها وتطوير البحث العلمي، ولا سيّما في مجال الشعر العربي.

٢. يشتهر عدد من العلماء الكبار في مجال إسلامية المعرفة والأدب الإسلامي، مثل إسماعيل الفاروقي، وسيد قطب، وعماد الدين خليل وغيرهم، مما يفتح المجال للباحثين للاقتداء بنهجهم والبحث في مؤلّفاتهم على نحوٍ أوسع.

المراجع

- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه. (٢٠٠٠). شرح ديوان أبي فراس الحمداني. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري. (١٨٧٦). لسان العرب. دار المعارف.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني .(١٩٨٦). ديوان أبي العتاهية. دار بيروت.
- أدونيس، علي أحمد سعيد (١٩٧٩). مقدمة للشعر العربي. (ط. ٣). دار العودة.
- الأصفهاني، علي بن الحسين أبو الفرج. (١٩٢٨). كتاب الأغاني. دار الفكر.
- الجارم، علي بن صالح بن عبد الفتاح وأمين، مصطفى. (١٩٣٧). البلاغة الواضحة. دار المعارف.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن .(١٩٩٢). دلائل الإعجاز. (ط. ٣). دار المدني بجدة.
- الجندي، أحمد أنور سيد أحمد (١٩٨٦). أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة. دار العلوم.
- الجندي، أحمد أنور سيد أحمد. (١٩٨٥). خصائص الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحربي، فرحان بدري. (٢٠٠٣). الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب. مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
- خلف الله، محمد. (١٩٤٧). دراسات في الأدب الإسلامي. (ط. ١). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (١٩٦٧). مختار الصحاح. دار الكتب العربية.
- رئيسى، مرتضى برارى وامرانى، محمد حسن. (٢٠٢٢). أسلوبية قصيدة عذاب الحلاج لعبد الوهاب البياتي وفقا للنظرية البنيوية النقدية، جامعة أصفهان.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم . (١٩٩٩). مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الكتب العربية.
- الساعدي، محمد معروف. (٢٠٠٩). شرح ديوان أبي العتاهية. دار الكتب العلمية.
- السامرائي، كمال عبد الفتاح حسن. (٢٠١٣) التلون في الخطاب الشعري في العصر العباسي الأول. فصل الخطاب، ٢ (٣).
- السامرائي، مهدي صالح. (١٩٧٧). تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية. (ط. ١). المكتب الإسلامي.
- سعد، عواطف آدم رزق الله. (٢٠١٦). مظاهر الزهد في شعر أبو الأسود الدؤلي. المجلة العلمية، ٤ (١٥).
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. دار الكتاب العلمية
- الشكعة، مصطفى. (١٩٨٦). الشعر والشعراء في العصر العباسي. (ط. ٦). بيروت: دار العلم للملايين.
- ضيف، أحمد شوقي عبد السلام. (١٩٦٦). تاريخ الأدب العربي– العصر العباسي الأول. (ط. ٨). دار المعارف.
- ضيف، أحمد شوقي عبد السلام. (١٩٨٢). العصر العباسي الأول. دار المعارف.
- طه، مها اسعد عبد الحميد. (٢٠١٧). الحالة السياسية والاجتماعية لدولة بني العباس: العصر العباسي الأول في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهى. مجلة كلية الأدب، الجامعة الإسلامية. (٩٤).
- عاشور، محمد طاهر. (٢٠٠٧). ديوان بشار بن برد. وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية.

- عبد الرحيم، محمد. (٢٠٠٨). ديوان أبي العتاهية: موسوعة مملكة الشعراء المثقف في الشعر العربي. (ط. ١). دار الراتب الجامعية.
- عبد القادر بن عبد المطلب. (١٩٦٤) الدواء للقلب. مطبعة بن هلابي.
- العقاد، عباس محمود. (٢٠١٢). ديوان أبو نواس. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (١٩٩٦). إحياء علوم الدين. مكتبة الإيمان.
- فضل، صلاح. (١٩٨٥). علم أسلوب: مبادئه وإجراءاته (ط. ٢). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكرملي، أنستاس. (١٩٠٢). سلوان الأسرى في إيوان كسرى. مجلة المشرق، ١ (١٥).
- الكود، خديجة. (٢٠٢٣). جماليات الحكمة في شعر أبي العتاهية: نماذج مختارة من شعره. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة أحمد دراية – أدرار، الجزائر.
- منقور، ميلود عبيد. (٢٠٠٤). القيم الأخلاقية في شعر الزهد عند أبي العتاهية. مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، (١).
- ميموني، فوزية. (٢٠١٨). الزهد في العصر العباسي: أبو العتاهية نموذجا. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة مستغانم.

- Abdul Hamid, M. F., Suliaman, I., & Md Ariffin, M. F. (2016). The Concept of Zuhud Based on Fiqh Al-Hadith. Jurnal Intelek, 11(1).
- Hamka, T. 1984. Perkembangan dan Pemurniannya. Jakarta: Pustaka Panjimas.
- Mann, T. 2015. The Oxford guide to the library research. Oxford University Press.
- Yahiji, Kasim, Damhuri. 2014. "Nilai-Nilai Pendidikan Karakter dalam Syair Zuhdiyat Karya Abu Al–'Atahiyah." Al-Ulum 14 (1).

هذا الكتاب

يمثّل هذا الكتاب ثمرةً علمية بارزة للمؤتمر الدولي الثاني لتعليم اللغة العربية وآدابها (ICTALL 2025)، إذ يجمع نخبةً من البحوث والدراسات التي تعكس واقع تعليم العربية في جنوب شرق آسيا، واتجاهاته المعاصرة، وتحدياته، وفرص تطويره في المؤسسات التعليمية والبحثية. يضم الكتاب أعمالًا تتناول قضايا تعليم العربية، وتحليل المناهج، وتجارب الممارسين، والدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية الداعمة للبرامج التعليمية، إلى جانب أوراق تتصل بالبيئة المؤسسية والاجتماعية المحيطة بعملية التعليم. يقع الكتاب في جزأين، حرّرتهما لجنة علمية متخصّصة، ليقدّم للقارئ مرجعًا موثوقًا يمكن الإفادة منه في تطوير مناهج تعليم العربية، ودراسة تجارب المنطقة، وتعزيز البحوث اللغوية والتربوية ذات الصلة. وهو موجَّه إلى الأكاديميين، والباحثين، ومدرّسي اللغة العربية، وصنّاع السياسات التعليمية، وإلى كل مهتم بتجارب تعليم العربية في السياقات الدولية المعاصرة.

ISBN 978-629-95233-6-9

Penerbit USAS Press
Universiti Sultan Azlan Shah (USAS)
Bukit Chandan, Bandar Diraja Kuala Kangsar 33000
Perak Darul Ridzuan
Malaysia